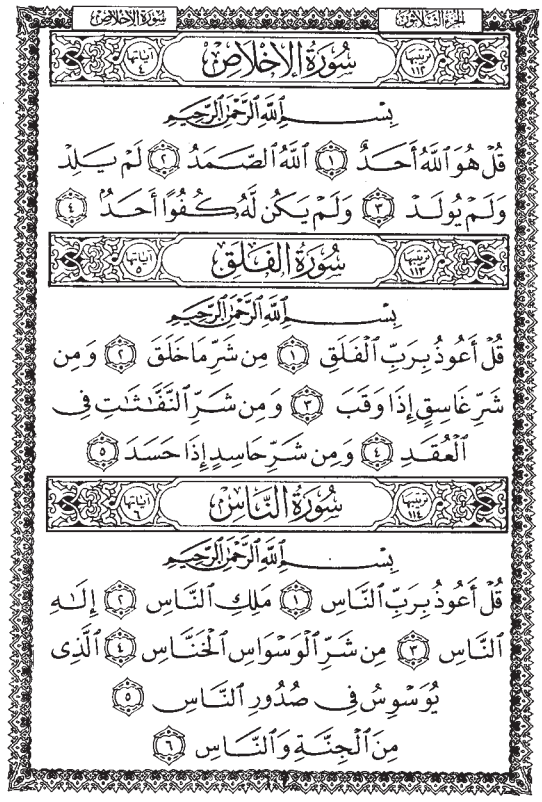

سورة الإخلاص مكية أو مدنية، أربعُ أو خمسُ آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

١- سُئل النبيّ ﷺ عن ربّه، فنزل: ﴿قُلْ: هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ ١. فاللهُ: خبرُ «هو»، وأحد: بدلٌ منه أو خبرٌ ثانٍ. ﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾ ٢: مُبتدأ وخبر، أي: المقصود في الحوائج على الدوام، ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لانتفاء مُجانسته، ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ ٣ لانتفاء الحُدوث عنه، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ٤ أي: مُكافئًا ومُماثلًا. فله: مُتعلِّق بـ «كفوًا»، وقُدِّم عليه لأنه مَحطُّ القصد بالنفي، وأُخِّر «أحد» وهو اسم «يكن» عن خبرها رِعاية للفاصلة.

سورة الفَلَق مكية أو مدنية، خمس آيات.

٢- نزلت هذه السورة والتي بعدها، لمّا سَحَرَ لبيدٌ اليهوديُّ النبيَّ ﷺ، في وَتَرٍ به إحدى عشْرةَ عُقدةً، فأعلمه الله بذلك وبمحلّه، فأحضر بين يديه ﷺ، وأُمر بالتعوّذ بالسورتين، فكان كُلّما قرأ آية منها انحلّتْ عُقدة ووجدَ خِفّة، حتّى انحلّتِ العُقد كُلّها، وقام كأنما نُشِطَ من عِقال.

---

(١) قال الكافرون: يا محمد، صف لنا ربك وانسبه. فنزلت هذه السورة. الحديثان ٣٣٦١ و٣٣٦٢ في الترمذي. وهو: أي: ما سألتم عنه. وأحد: متفرد بذاته وصفاته وأفعاله. وبدل: يعني أن «أحد»: بدل من لفظ الجلالة للبيان والتوكيد. ولم يلد: ليس له ولد ولن يكون أبدًا. ولانتفاء مجانسته أي: لتفرده وعدم مجانسةِ كائن له. ولم يولد: ليس له والد ولا والدة. ولانتفاء الحدوث أي: لوجوب الوجود والقِدمَ المطلق وسبق العدم. ولم يكن أي: ولن يكون أبدًا. وفيما عدا الأصل والنسخ وط: «كفوًا». وأحد أي: موجود أو ممكن وجوده. والفاصلة: لفظ آخر الآية. (٢) الوتر: الحبل يُشد على القوس. وبمحله: بموضع الوتر. وكأنما نشط من عقال: كأنه أُطلق من قيد. ووردت هذه القصة في كتب الأحاديث المشهورة، بخلافٍ كثير لبعض التفصيلات، دون ذكر عدد العُقد وكيفية حلها وسبب النزول، لأن هذا الذكر من زيادات المفسرين والقصاصين، وليس له سند علمي موثق. أحكام القرآن ص ١٩٩٦. ويَرِدُ على هذه القصة ما يلي:

١) أن السورة على قول الجمهور هي من أوائل السور المكية: جمال القرّاء ص ٤٢-٤٤ والبرهان ١: ١٩٣-١٩٤والإتقان ١: ١٨-٢١ وتفاسير البغوي ٤: ٥٤٦-٥٤٧ والكشاف ٤: ٨٢٠ والقرطبي ٢٠: ٢٥١ والبحر ٨: ٥٢٩ وأبي السعود ٩: ٢١٤ وفتح القدير ٥: ٧٥٥ والقاسمي ص ٦٣٠٤ وفي ظلال القرآن ٨: ٧٠٧-٧١٠ وصفوة التفاسير ٣: ٦٢٣ وأيسر التفاسير ٢: ٨٠٧. وجعلُها مدنية هو أحد قولَي ابن عباس وبعض المفسرين، بناء على قصة السحر المذكورة بعد. انظر الإتقان ١: ٢٧. والأول هو الراجح. ولذلك كثيرًا ما يُكتفى بوصف هذه السورة أنها مكية، أو يضاف إليه أنها مدنية بعبارة تضعيف وتمريض، أي: وقيل مدنية. وقد صحت روايات كثيرة، جاء فيها تلاوة هذه السورة قبل السَّنة التي حددها رواة القصة المذكورة، أي: قبل سنة سبع من الهجرة. انظر الدر المنثور ٦: ٤١٦-٤١٧ وفتح الباري ١٠: ٢٧٨.

٢) أن ما روي في القصة هو من الأحاديث المرفوعة الفعليّة عن السيدة عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - وهي لم تكن قبل الهجرة على صلة بمثل هذه الأمور، ولم يرد لفظ السحر على لسان النبي ﷺ في تلك الروايات، وإنما كان دائمًا من لفظ الرواة، ولم يُذكر في المشهور منها سبب نزول السورة أيضًا، وإنما كانت القصة وحدها في ذلك. انظر الأحاديث ٥٤٣٠ و٥٤٣٢ و٥٤٣٣ و٥٧١٦ و٦٠٢٨ في البخاري و٢١٨٩ في مسلم. ومن تلك الأحاديث ما هو مرفوع فِعليّ أيضًا عن زيد بن أرقم، وهو قبل الهجرة طفل صغير. المسند ٤: ٣٦٧ وسنن النسائي ٧: ١١٣ والمستدرك ٤: ٣٦٠-٣٦١ والدر المنثور ٦: ٤١٧-٤١٨ والإصابة ٢: ٥٩٠ والخزانة ١: ٣٦٣.

٣) أن الخلاف في الروايات لهذا الموضوع كثير جدًا. فلبيد المذكور هو: رجل من بني زُريق الأنصاريين، أو من اليهود، أومسلم منافق ومغمور بعيد عن حياة النبي ﷺ، أو خادم له. والذي أعلمَ النبيَّ ﷺ بالوتر، كما في الروايات، هو: جبريل، أو رجلان، أو ملكان، أو جبريل وميكائيل، في حوار بين كل من الاثنين منهم لا بإعلام مباشر للنبي ﷺ. ثم إن الوتر في بعض الروايات لم يُخرج من البئر بل دفنت البئر لدفع الفتن، وفي بعض آخر أنه أخرجه الإمام عليّ وحلّل العُقد، وفي ثالث أنه أخرجه علي وعمار وهو وعاء الطلع من نخلة فيه عُقد، وفي رابع أنه ذهب بعض الصحابة وأخرجه، وفي خامس أن النبي ﷺ ذهب مع أصحابه إلى البئر ونظروا إليها ولم يخرجوه، وفي سادس أنه نزل أمامهم رجل واستخرجه وفيه مشط النبي ﷺ وتمثال له من شمع مغروز بإبر أو فيه عُقد، وفي سابع أن جبريل أمر بنزح البئر وإخراج التمثال وإحراقه. ثم ترد زيادات الإخباريين بكيفية الإخراج والحل للعُقد وانحلال السحر، في حديث ضعيف عن ابن عباس. فتح الباري ١٠: ٢٧٧-٢٨٤ وعمدة القاري ١٧: ٤٢٠-٤٢٦ والدر المنثور ٦: ٤١٦-٤١٨.

٤) أن مجمل هذه الروايات ليس من المتواتر، بل أحاديث آحاد لايؤخذ بها في أصول الاعتقاد والغيبيات، ولا يأثم من تركها كما قال الإمام ابن تيمية وآخرون. انظر تفسير القاسمي ص ٦٣٠٨-٦٣٠٩. ثم إنّ هذه الروايات تخالف أيضًا أصل العصمة النبوية في الفعل والتبليغ، وتناقضُ نفيَ القرآن الكريم عن النبي ﷺ أنه مسحور، وتناقض تكذيبَه المشركين فيما زعموه من هذا الإفك، وإن حاول بعض العلماء تسويغها بما هو غير كاف من الاستدلال. فالأولى أن تستبعد أمثال هذه الروايات عند بحث الأمور الغيبية. في ظلال القرآن ٨: ٧١٠.

٥) أنه ذهب بعض الشافعية والحنفية والظاهرية، وطائفة من العلماء والمعتزلة، إلى أن السحر تخييل وإيهام لاحقيقة له، ومُحال حدوثه في الواقع المحقق. وإنما يكون تأثيره بالخداع والإيهام ممن يمارسه في ضعاف النفوس، أو بإطعام أحد أو سقيه شيئًا ضارًّا، أو مباشرته بفعل يؤذيه حقًا، فيظن السفهاء أن ذلك=